الصحابة

٥

عبد الله بن رواحة

رجل سيف وقلم

بقلم : سعد القاضى

رسوم داخلية : منى جامع

دار المعارف

obeikandl.com

تصميم الغلاف: شريفة أبو سيف

تنفيذ الغلاف والمتن
بالمركز الالكتروني
دار المعارف

الناشر: دار المعارف ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة - ج. م. ع.
هاتف: ٥٧٧٧٠٧٧ - فاكس: ٥٧٤٤٩٩٩ Email: maaref@idsc.net.eg

obeikandl.com

■ فى واحةٍ خصيبَةٍ ذاتِ عيونٍ ووِدْيَان وزُروع، تقعُ مدينةُ «يثْرب»، والَّتِى عُرِفت باسْم «المدينة المنوَّرة» بعْد الهجْرةِ إليْهَا. فِى هذَا الجوِّ الجميلِ الذِى تكسُوهُ الخُضْرَة، وتكْثُرُ فِيه المياهُ والينابيعُ وتنتشِرُ على أرضِه الأشجَار.. نشأَ عبدُ اللَّهِ بنُ رَوَاحة يرسِلُ أعذبَ الأشعَارِ وأرقَّ الكلمَات. واجتمعَت فيه بعضُ السِّمَاتِ والخصالِ التى جعَلتهُ يتبوَّأ مكانةً مرمُوقَةً، فكانَ شاعرًا وفارسًا وزعيمًا، وقائدًا مجرِّبًا يعرفُ خَبَايَا الحرْبِ يَعتمدُ عليْه الخزرَجُ – قومُه – فى حُرُوبهم ضِد الأَوْس.

وَقَدْ عُنِىَ بعبْدِ اللَّهِ فِى الجاهِليَّة ، شَأْنُ أبناءِ الأُسَر الكَرِيمة ، لأَنَّ الَّذِى تولَّىَ تربيتَه نشَّأه تنشِئَةً حَسَنَةً قلَّ مِثْلها ، فقد كانَ يقرأُ ويكتبُ مِنْ صِغَرِه، وكَانت الكتابةُ نَادِرةً يومئذٍ فِى العربِ الأوَّلين ، كَما قَرَض[1] الشعرَ صَغِيرًا، ولَمَّا اشتدَّ ساعدُه أصبح شاعِرًا خَطرًا ينافسُ أعظَمَ شُعَراءِ الجاهليَّة.

■ إسلامه:

إذَا رجعْنا بالذَّاكرةِ إلى أيامِ الإسلَامِ الأُولى، وجدْنَا فى أصْحابِ الرسُولِ ﷺ رجَالاً لا ينضبُ معينُ الحديثِ عنْهُم.. ومنْ هؤُلاءِ الصَّحابى الشاعِرُ المحاربُ البطلُ المِغْوارُ المحبُّ للرسُولِ ﷺ المطيعُ لَه فِى السِّرِّ والعَلانيـة، كانَ أحـدُ النقبَـاءِ الاثْنَى عشَر. ففِى ليلةٍ جاءَ أولئكَ

(١) قرض : قال.

اليثربيُّونَ (من يثرب) إلىَ الرسُولِ ﷺ فَرغَّبهُم فِى الإسْلاَم، وحَدَّثهم عنْه، فبَايعُوه، وبايَعَهُم، وصدقَت بَيْعَتهم، وطلبَ مِنْهم الرسول ﷺ أنْ يختارُوا مِنْهُم اثنَىْ عشَرَ نَقِيبًا، ليكُونُوا شهودًا عَلى قومِهِم، فكان مِنْ هؤُلاء عبد الله بن رواحَة، مسلمًا، كارهًا للشِّرْك، مُصدقًا لمحمدٍ ﷺ ورسَالتِه.. مؤمِنًا بنبوَّته، ملتصِقًا بعَمُود الدينِ عَنْ رضًا وطيبِ خَاطِر، فما مَالَ عنْهُ ولاَ انحرَفَ عنْ سِمَتِه..

■ ملازمته لرسول الله ﷺ:

لَمْ يكُن ابنُ رواحَة ذلكَ الشاعرُ الذِى عرفتْهُ المدينة، ولَمْ يكُنْ ذاكَ الفارسُ الصلْب الذِى شُغِفَ بالحربِ فحسْب، بلْ كانَ الرجلُ الذِى كرهَ الكُفْر قبلَ أنْ تَشْرقَ شمسُ الإسلامِ فِى المدِينَة، وسخرَ منَ الأصنَام، وهذِه الصفاتُ تعطِينَا صورةً واضحةً عن ملاَمح ابنِ رواحَة رضي الله عنه - وتدلُّ على مكَانتِهِ الرفيعةِ.

وعبدُ الله بنُ رواحَة، أحدُ الصحابةِ الأعْلام، الذِين أقبلُوا عَلى مجلِسِ رسول الله ﷺ، لينهلُوا منْ فيضِ النبوةِ مَا يرُويهِمْ. وقد ازدادَ ابنُ رواحة تعلُّقًا برسُولِ اللهِ ﷺ، إذ امتلأت نفسُه الكبيرةُ بحبِّ الرسُولِ ﷺ، وظلَّ قريبًا منْه يستمعُ إلى هَدْيه الكَبير، فقدْ كَانَ حَافِظًا وَاعيًا لأحَاديثِ الرسُولِ ﷺ، كما كانَ شديدَ الخشْيَة لله - عز وجل - عظيمَ الخوفِ منْه، فذكرُ الله لا يفارِقُ لسَانَه، وخشيةُ الله تعالى - لا تفارقُ قلْبَه، وصورُ الآخرةِ لا تبرحُ مَخيلَتَه.

وبلغَ ابنُ رواحة فى الذكرِ والزهْد فِى الدنيا مَكانًا عَليًّا، كانَ قلبُه ولسانُه يلهجُ بذكرِ الله دَائِما، ويدعُو كلَّ منْ يلقَاهُ إلى الذِّكْر.

- قالَ لصاحبٍ لَهُ ذاتَ مرَّةٍ :

- تعالَ بَنَا نؤمنُ سَاعةً.

- فقالَ لهُ صاحبُه :

- أو لسْنَا بمؤْمِنين؟

- فقال ابنُ رواحَة :

- نعمْ، ولكننَا بذكرِ الله تعالى نَزْدَادُ إيمَانا.

■ وكان ابن رواحة يدعو إلى الله ورسوله ﷺ:

لمْ يكُن ابنُ رَواحة يدافعُ عنِ الإسْلام بسيْفه ولسانِه فحسْب، بلْ كانَ يدعُو إلىَ الله ورسُوله ﷺ بكلِّ مَا أُوتِىَ منْ قوةٍ فِى البيان والإقْناعِ، وَهو سببُ إسلامِ أبِى الدردَاء رضي الله عنه.

وكيفَ كَان ذَلِك؟

كَانَ أبُو الدردَاء - رضي الله عنه - فيمَا ذكرَ آخرُ أهْله إسْلاَمًا، لمْ يزل متعلِّقًا بصنم له، وقدْ وضَعَ عليه منْدِيلا.. وكَانَ عبدُ الله بنُ رواحَة - رضي الله عنه - يدعُوه إلى الإسْلام فيرْفض، ويكررُ له الدعوةَ مرةً ثانيةً وثالثة، فيرْفُض - وكانَ أبُو الدردَاء شَقيقَ عبد الله بنِ رواحَة مِنْ أمِّه فى الجاهِليَّة قبْل الإسْلام.

وفى يومٍ من الأيَّام رآهُ قد خرجَ مِنْ بيْتِه، وفى السِّر دخلَ عبدُ الله بيْت أخِيه ورأى امرأَته، فسأَلَهَا:

– أينَ أبُو الدردَاء؟

فقالت:

– خَرجَ أخُوك للسُّوق.

فدخلَ عبدُ الله المكانَ الذِى فيه الصَّنم، ومعَه القَدُوم، فأنزلَه عليه، وجَعَلَ يكْسرهُ قطعًا قطعًا وهُوَ يقُول:

– أعوذُ باللَّهِ منَ الشيْطَان الرَّجيم.

– إنَّ كلَّ مَا يدعَى معَ اللهِ بَاطِل.

– أعوذُ بالله من الشيْطان الرَّجيم، إنَّ كُلَّ ما يدعى معَ الله بَاطل.

وخرجَ عبدُ الله، وسمعَت المرأةُ صوتَ القَدُوم وهُو يضربُ ذَلك الصنمَ فقالَت:

أهْلكتنى يا ابنَ رواحَة!

فخرجَ عَلى ذلِكَ فلمْ يكنْ شىء، حتَّى أقبلَ أبُو الدردَاء إلى منْزِلها، فدخَلَ فوجدَ المرأَة تبْكى، فقَالَ لها:

مَا شَأْنك؟

فقالت له:

– أخُوك عبدُ الله بن روَاحة دخَل علىَّ فصنعَ مَا ترى فِى الصَّنَم.

فَغضبَ غضبًا شَدِيدا، ثم فكَّرَ فِى نَفْسِه فقَال:

– مَا هذَا الذِى فعَلَه أَخى بالصَّنم؟

– ألَمْ يستطعْ هذَا الصنَم أنْ يدافعَ عنْ نفْسِه؟

– لو كَان عنْدَ صَنمى هذَا خيرٌ لدافعَ عنْ نفْسِه!!

– أَجَل، لوْ كانَ يستطيعُ ذَلِكَ لفعَل، ولكنه عَجزَ حتَّى أنْ يدافعَ عنْ نفسِه.. ومَا دامَ قد عجزَ عَن الدفاعِ عنْ نفْسِه، هَلْ فِى استِطاعتهِ أنْ يدَافعَ عَنِّى؟!

بالطبْع لا، لا، لا.

وينطلقُ أبُو الدردَاء، ينطلقُ إلى المكانِ الذِى يتواجدُ فيه رسولُ الله ﷺ، حتَّى أَتى رسُولَ الله ﷺ، ومعهُ ابنُ رواحَة فأسْلَم وقال:

– أشهدُ أن لاَ إله إلاَّ الله وأنَّ محمدًا رسولُ الله.

وهَكذا احتلَّ عبدُالله بنُ رواحةَ مسَاحةً عظيمةً فِى نفْس أَبِى الدردَاء، إذْ هوَ سببٌ فِى إسْلاَمه وَهِدَايته.. وكَانَ أَبُو الدردَاء يعترِفُ بهذَا له، وكانَ يردِّدُ دَائمًا:

– أعُوذُ بالله مِنْ أنْ يأْتى علىَّ يومٌ لاَ أذكرُ فيه عبدَ الله بن رواحة.

– وَفِى كلِّ مجْلسٍ يجْلسُه أَبُو الدردَاء، كانَ يحدِّثُ عنْ عبد الله بنِ رواحَة، ويذكرُ فضائلَهُ ومنَاقبَه، فلمْ تكُن صورتُه تبرحُ مخيلَة أبِى الدردَاء، بلْ لمْ يكنْ يعملُ عملاً إلاَّ ويتخيَّلُ ابنَ رواحةَ أمامَه.

وعن أبِى الدردَاء قَال:

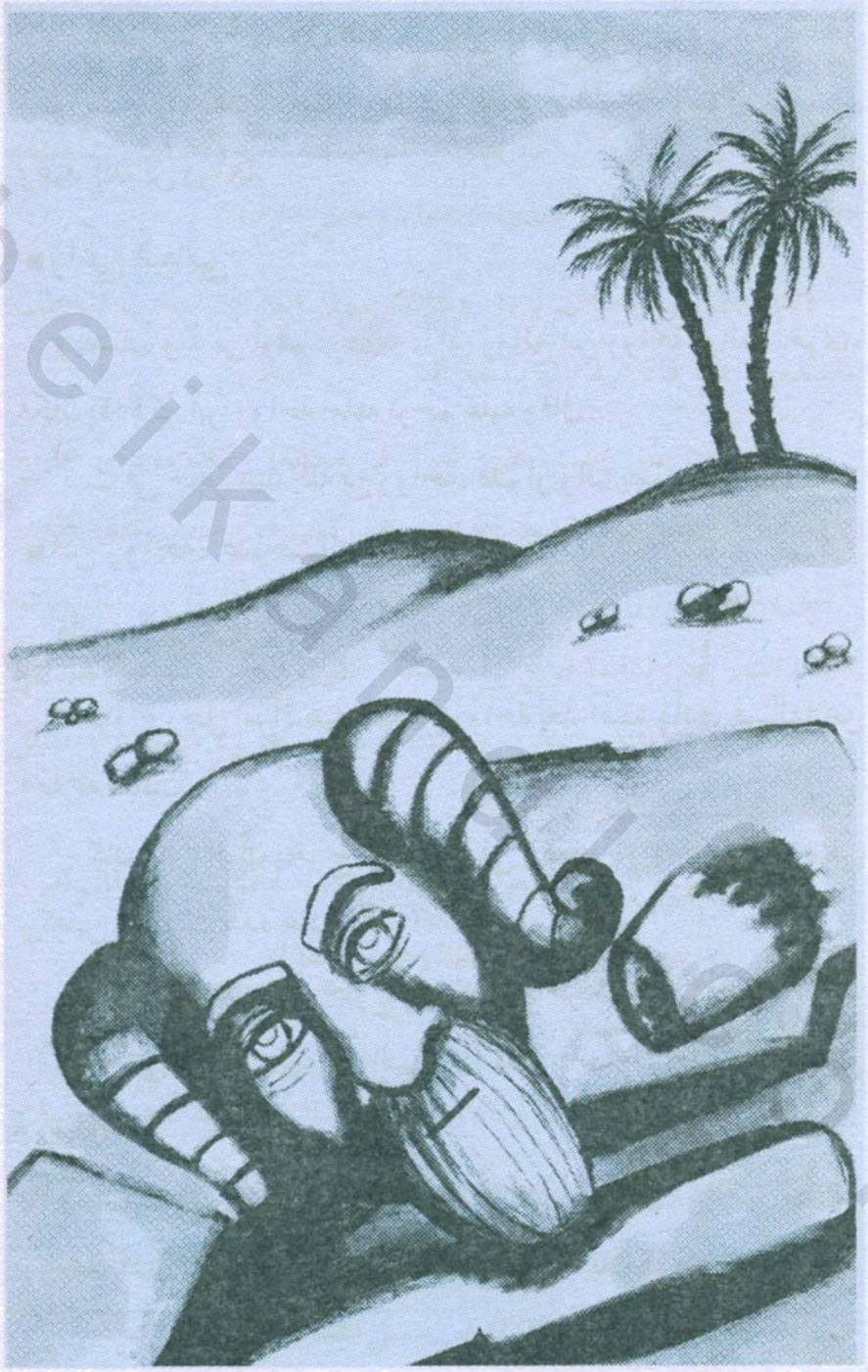

– لقدْ رأيتنَا معَ رسولِ الله ﷺ يُعلن أسفاره فِى اليومِ الشديدِ الحرِّ وهو يضعُ يدهُ عَلَى رأسِه، ومَا فِى القومِ صَائمٌ إلاَّ رسولُ الله ﷺ وعبدُ الله بنُ رَوَاحَة.

■ راعى اليتامى:

ويضيفُ زيدُ بنُ أرقم – رضي الله عنه – إلى روَائع ابنِ رَوَاحَة، رائعةً أُخرى، فكانَ إذَا ذُكِرَ ابنُ رَوَاحة أمَامه ترحَّم عليه وقَال:

كنتُ فِى حجر عبد الله بنِ رَوَاحة، فلمْ أرَ واليًا يتيمًا كَان خيرًا مِنْه.

■ ابن رواحة، صاحب مناقب[1] كثيرة:

قال عبدُ الرحمن بُن أبِى ليلى:

– تزوجَ رجُلٌ امرأة عبد اللهِ بنِ رَوَاحة بعدَ استشهَادِه، فسألَها عنْ أَخْلاقِه فقالتْ:

– كَان إذَا أرادَ أنْ يخرجَ منْ بيتِهِ صَلَّى ركْعَتين، وإذَا دخلَ بيتَه صلى ركعتيْن، وكانتْ هذِه عَادته، قالُوا:

– وكانَ عبدُ الله أوَّل خَارجٍ إلى الغزْوِ وآخِر عَائدٍ مِنَ الغزْو.

وعنْ أبِى هُريرةَ رضي الله عنه أنَّ النبىَّ ﷺ قَال: «نعمَ الرجلُ عبدُ الله بنُ رَوَاحَة».

وأيضًا عنْ أبِى هريرةَ رضي الله عنه قالَ: إنَّ النبىَّ ﷺ قَال: «رحمَ اللهُ ابنَ رواحة، فقد كان يحبُّ المجالسَ التِى تتباهَى بهَا الملاَئكة».

(١) مناقب: مفاخر – صفات حسنة.

■ زادك الله حرصا على طاعَةِ الله ورسوله ﷺ يا عبد الله.

ازدادَ عبدُ الله بنُ رواحَة تعلُّقًا برسُول الله ﷺ، وقد امتلأَت نفسُه الكبيرةُ بجلالِ البيعَة، وصدْقِ الطاعَة، وحسْنِ الاتبَاع.

فلقدْ جاءَ إلى المسْجِد يومًا، وكَان رسولُ الله ﷺ يتأهبُ ليخطب المسْلمين، فمَا كادَ عبدُ الله يسمعُ النبيَّ يقُول للناس:

«اجْلسُوا» حَتَّى جلسَ عَلى الفوْر فِى مكَانه، وكانَ مايزالُ خارجَ المسْجد!! جلسَ نزولاً مطلقًا عَلى أمرِ النبوَّة، وحرصًا عَلى طاعةِ رسول الله ﷺ، وكذلكَ حرصًا عَلى ألاَّ تفوتُه كلمةٌ منَ الكلماتِ الخالدَات، حتَّى إذَا مَا فرغَ مِنْ خِطَابه، كانت المعانِى السَّامية تَهُزُّ ابنَ رواحَةَ هَزًّا، فجعلتْهُ ينْتَفِضُ بينَ الناسِ نتيجة حرَارةِ الإيمان، وينطلقُ لسانُه الفصيحُ بآياتِ الوفاءِ والثنَاء.

وسمعَ رسولُ الله ﷺ بأمْرِ عبد الله بنِ رواحَة فاستدْعَاه وقَالَ له:

زادَكَ اللهُ حرْصًا عَلَى طَاعَةِ اللهِ وطاعَة رسُولِه.

■ بطل سيف وقلم:

عندمَا هاجرَ النبىُّ ﷺ إلى المدِينة، أصبحَ ابنُ رواحَةَ داعيةً للإسلاَم بشعْرِه وأدَبه، يدعُو إليْه، ويذُودُ عنْ حيَاتِه بالسيْف، وكانَ يرسلُ شعْرَهُ الحَارَّ فى الدعوةِ إلى تحميسِ الجُيُوش، والاستبسَالِ الفِدائِى العاصِفِ، فيدْفع الجنودَ إلى البذْلِ والجهَادِ فى سبيل الله.

■ بيعة العقبة:

حضرَ ابنُ رواحةَ بيعةَ العقبة، وكَان أحدُ النُّقَباءِ (الأمراء) الاثْنى عشَرَ الذين جاءُوا إلى النبى ﷺ يتحدثُون بالإنابَةِ عنْ ذَويهِم، ويؤكدُون مَا تمَّ الاتفاقُ عليْه فى ميثاق البيعَةِ وبنُودِه.

■ وجاءت بدر:

وَفِى بدْر، يندفعُ ابنُ رَواحةَ فِى أوائلِ الصُّفُوفِ، وقدْ ركبَ جوَادَه ودَعَا إلى المبارزَة، ولكنَّ المشْركين يرفضُونَ منازلةَ مدَنى خَزْرَجِى، ويفضلُون مبارزَةَ المُهاجِرين، حتى يكونَ هناكَ مسَاوَاةٌ معَهُم فى الأصْل والمكَانة.

وبناءً عَلَى ذلِك، خرجَ إليهم عَلِىٌّ، وحمزة، وعبيدة بن الحارِث، وقتلَ الأَبطالُ المسْلِمُون الثلاثةُ مَنْ خرجَ إليهْم مِنْ صنادِيدِ قُريش.

وهكَذَا بدأَت الحربُ فى معركَةِ بدْر.

وعندَ هذَا الحدُّ اندفعَ ابنُ رواحَةَ فصَالَ وجَالَ بسيْفِهِ، حَتَّى انتهت المعركةُ بانتصَارِ المسْلمين، واندحَار المشركين فأرسَلَهُ النبىُّ ﷺ معَ زيدَ ابنَ حَارِثَةَ إلى المدينةِ، ليبشرهم بالنصْرِ الذِى حَققه المسْلمُون.

■ وكان شاعرًا، ينطلقُ الشعرُ منْ بيْن ثنايَاهُ عذبًا قويًا، سبقَ أَنْ ذكرْنَا أَنَّ «ابنَ رواحَةَ» رضي الله عنه، كَانَ كاتبًا فِى بيئَةٍ لاَ عهْدَ لها بالكتابَةِ إلاَّ يَسِيرًا،

ومنذُ أسلمَ وضعَ مقدرَتَهَ الشعْريَّة فى خدمَةِ الإسْلاَم، وكانَ الرسولُ ﷺ يحبُّ شعْرَه ويستزيدُه منْه.

جَلسَ النبىُّ ﷺ يومًا معَ أصْحابه، وأقبَلَ عبدُ الله بن رَواحةَ فسَألهُ النبىُّ ﷺ

- كيف تقُول الشعْرَ إذَا أردْتَ أنْ تَقُول؟

تُرى.. ماذَا كانت إجَابةُ ابنُ رواحَة؟

لَقدْ قالَ ابنُ رَواحة وهُو ناظرٌ إلى وجْه الحبيبِ الصَّادِقِ المصدُوقِ محمدٌ ﷺ:

يا رسول اللهِ، إذَا أردتُ أنْ أقولَ الشعرَ أنظرُ فِى ذَاكَ - يريدُ وجْه النبى ﷺ ثُمَّ أقُول:

ومضىَ ابنُ رواحَةَ على البديهة ينْشُد:

يـــا هَاشـمَ الخـــير إنَّ اللَّهَ فضَّلكـــمْ
عَلـــى البريَّـة فضـــلاً مَـا لَه غِيَـــرُ

إنـــى تفرسْتُ فيـكَ الخيـــرَ أعرِفُـــه
فِراسَةً خَالفتهـــم فى الذِى نظَـرُوا

ولـــو سألتَ أو استنْصرْت بعضَهُـــم
فى جلِّ أمـركَ ما ردُّوا ولاَ نصَـرُوا

فثبتَ اللهُ مـا أتـاكَ مِنْ حســـــن
تثبيت مُوسَى ونصْرًا كالذِى نُصِروا

فَسُرَّ الرسولُ ﷺ وقالَ له:

وَإيَّاكَ، فَثبَّتَ الله.

أسْلَمَ عبدُالله بنُ رَواحة -رضى الله عنه- قبْل الهجرةِ بعامَيْن- وتُوُفِّىَ سنة ثمانٍ للهجرْة، وخلال هذه السنواتِ العشْر كان ملازِمًا لرسولِ الله ﷺ، وبالطبعِ سَمعَ منْ رسُولِ اللهِ ﷺ الكثيرَ مِنَ الأحاديثِ العطرَة.

■ وَلـمَّا نزلَ قولُ الله تعالى علىَ رسولِ الله ﷺ:

﴿وَٱلشُّعَرَآءُ يَتَّبِعُهُمُ ٱلْغَاوُۥنَ﴾ (١).

أخذَ ابنُ رواحة يشهقُ ويجهشُ بالبُكاء ويقُول:

إنّى منْهُم

إنى منْهم

إنى منْهم

فأنزلَ اللهُ قولَهُ عَزَّ وجَلَّ:

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ (٢).

■ قبلَ فتْح خيْبَر، بعثهُ رسولُ اللهِ ﷺ عَلى رأس ثلاثينَ فارسًا إلى أسيْد بن قرام اليهودى هناكَ فقتلَه، وأشَاعَ بشعْرِه الرهيبِ الخوْفَ فى قلوبِ اليهودِ جميعًا.. وَلـمَّا عَادَ وجدَ بلاءه قدْ شاعَ بالمدِينةِ، ووجدَ أبطالَ المسْلمينَ يكبرونَه ويعظمُونَه، حَتَّى لقدْ قَال فيه الزبيرُ بنُ العوَّام فارسُ رسول اللهِ ﷺ وحَوَاريه:

(١) سورة الشعراء - (الآية: ٢٢٤). (٢) سورة الشعراء - (الآية: ٢٢٧).

مَا رأيتُ أحدًا أجرأَ ولا أسرعَ شعْرًا مِنَ ابنِ رَواحَه!!

أشعاره أسرع من ضرب النّبال .

عندمَا دخلَ رسولُ الله ﷺ مكّة.. كان عبدُ الله ابنُ رواحَة بيْنَ يديْهِ يمْشِي وهو ينشُدُ شعرًا:

خلُّوا بنى الكفارِ عنْ سَبيله

اليوم نضربكُم عَلى تنْزِيله

ضربًا يزيلُ الهام عنْ مقيلِهِ

ويذهلُ الخليلَ عن خَليلهِ

فقَالَ لَه عُمر: ما هذَا يا ابنَ رواحَة؟

بَيْنَ يدى رسُول الله ﷺ وفى حَرمِ اللهِ تقُولُ الشّعْر؟

فقالَ له النبىُّ ﷺ:

– خَلِّ عنه يا عُمر، فلهِىَ أسرعُ فيهم منْ نَضخِ النبْل .

لقد كَانَ رسولُ الله ﷺ يَرى فى شعرِ ابنِ رواحَة أنَّهُ أقوَى منْ ضربَات السِّهَام.

■ معركة الخندق:

كادَ المسْلمُون يُصَابون بإحباطٍ وهَلَع، لولاَ أشعارُ وأناشيدُ ابنُ رواحَة التى أعَادت رباطَةَ الجأشِ إلى النُّفُوس، وملأَت القلوبَ ثقةً وإيمانًا، فثبَّتَهُم اللهُ بنصْرِه، وآزَرَهم حتَّى انْدحَر اليهُود، وعادَ المسْلمُون منصُورين فَرحين يردِّدُون أناشيدَ ابنَ رواحَة:

يا رَبِّ لَوْلاَ أَنْتَ مـا اهْتدينَا

ولا تصدَّقْنَـا ولاَ صلَّيْنَـا

فأنـزِلَـنَّ سَـكينةً علَيْنَـا

وَثَبِّت الأقـدامَ إنْ لاَقيْنَـا

وكَانت السَّكينةُ قدْ نزلَت مِنَ اللهِ عَلى المسْلمين.

أجَل، كَانت السكينةُ قدْ نَزلت، وثبَّتَ اللهُ أقْدامَهُم، وعَادُوا بالنصْرِ المُبين.

وأصبح ابنُ رواحَة هُوَ المفاوضُ المتمكِّنُ، والسِّياسيُّ النَّابهُ، وكَان رسولُ الله ﷺ يُوفدُه للتباحُث معَ الأعـداءِ فِي المفاوضَـات ، وكَانَ - دائمًا - رأيُه مُحترمًا مُقدَّرًا مِنَ المسْلمين، ومِنَ الأعْدَاء.

وَقدْ شهدَ عبدُ اللهِ بنُ رواحَة غزواتٍ كثيرةٍ منها:

أحُد والخندق والحدَيْبية وخيْبر فاسْتحقَّ رضوَان الله ومغْفِرته، حيثُ قَال رسولُ الله ﷺ: «لا يلجُ النارَ أحدٌ شهدَ بدْرًا والحدَيْبية». وقدْ شهدهُمَا ابنُ رواحَة.

وكان شعارُه دوْمًا هُوَ: «يا نفسُ إلاَّ تُقْتَلِى تَمُوتِى».

وصائحا فى المشركين فى كل معركة وغَزوةٍ:

خلوا بَنِى الكُفَارِ عَنْ سَبيلِهِ

خلُّوا فكُلُّ الخيرِ فى رسُولهِ

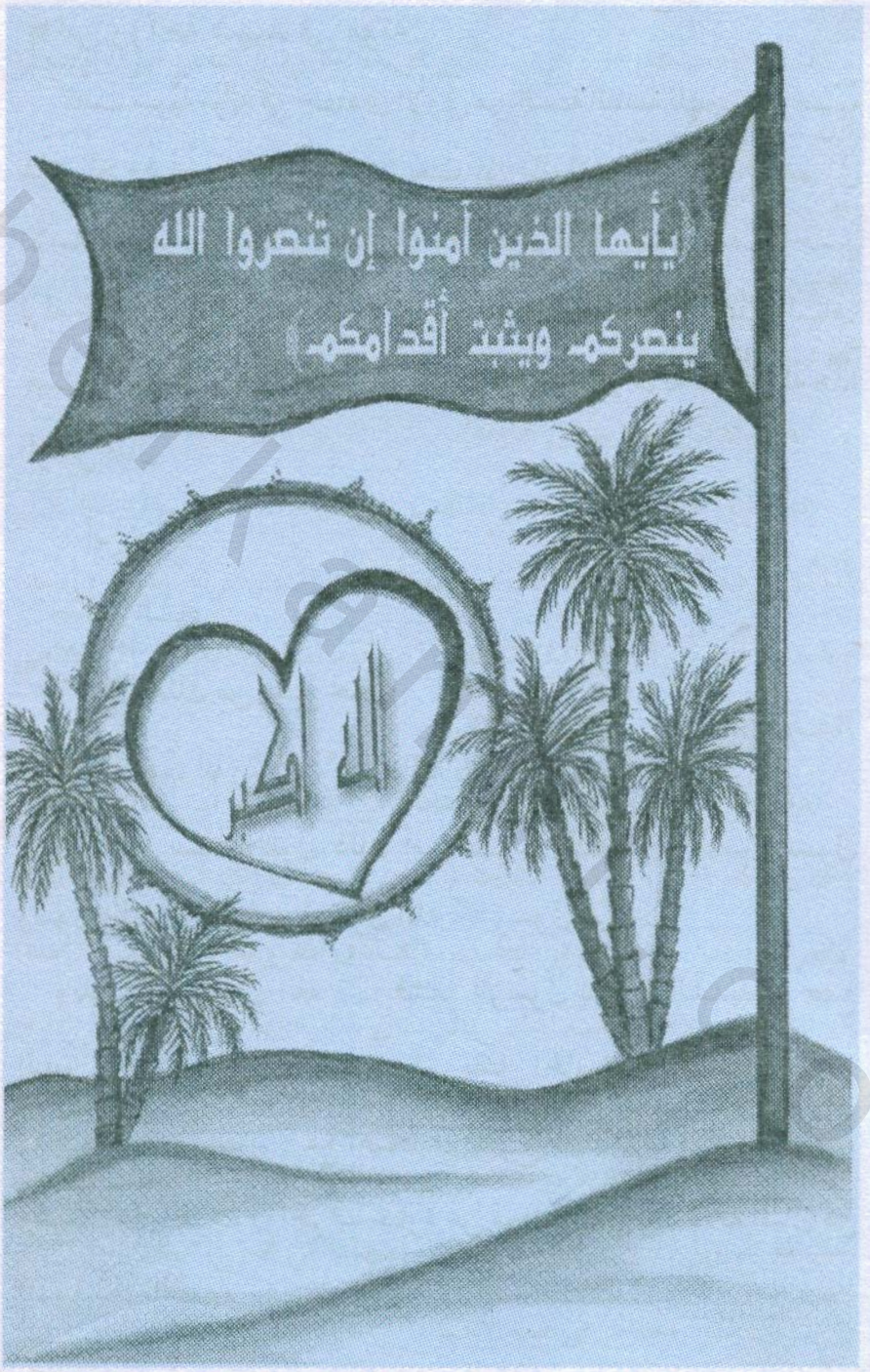
﴿يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله
ينصركم ويثبت أقدامكم﴾
الله أكبر

■ ابن رواحة شهيد فى موٴته:

كانت سَرِيَّةُ موٴته فِى جمادى الأولى من السَّنة الثامنة للهجرة، وسببُ هذه الغزوَةُ أنَّ رسولَ الله ﷺ بعثَ إلى المُلوكِ والأمرَاءِ يدعُوهم إلى الإسلام. ومَا منْ ملكٍ ولا أميرٍ إلاَّ وأكرمَ الرسولَ القادمَ إليه، وأحسَنَ نُزُلَه غير وَاحِدٍ، هوَ «شُرَحْبِيل بنُ عَمْرو» أحدُ وُلاَةِ الروم عَلى الشَّام، حيثُ إنَّه لَمَّا جَاء «الحارثُ بنُ عمير الأزْدى» ونزلَ موٴته تَعَرَّضَ له هذَا الرجُلُ فقال:

– أينَ تُريد؟

– قال الشَّام.

– قال لعلَّك مِنْ رسُل محمد؟

– قال نعمْ، أنا رسولُ رسولِ الله ﷺ.

عندمَا سمعَه يقولُ ذلِكَ أمرَ فضُرِب عُنُقَه . . ومَات رسول رسولِ الله ﷺ ولَمْ يقتلْ لرسولِ الله ﷺ رسولٌ غَيْرُه.

وبلغَ ذلِكَ رسولُ الله ﷺ، فشعَرَ الرسولُ بالحزْنِ الشَّدِيد، وجَمَعَ الناسَ وأخبرَهُم بالخبرِ المشِين، خبر مقْتَلِ الحارثِ بنِ عُمَيْر – رضي الله عنه. ويجتمعُ رسولُ الله ﷺ معَ أصْحابه، فخرجَ منهم ثلاثة آلافٍ للحرْب، وعسْكرُوا بالجرْف (والجرفُ عبارةٌ عنْ موضعٍ على بعْدِ ثلاثةِ أمْيال مِنْ المدِينة نحوَ الشَّام).

فلما جاء موْعد خرُوج المسلمين إلى موْته، ودَّعَ الناسُ أمرَاءَ رسُولِ الله ﷺ الثلاثة:

- زيدُ بنُ حَارثة.
- جعفرُ بنُ أبى طالب.
- عبدُ الله بنُ رواحة.

أتعرفُون من هو زيدُ بنُ حارثة؟

إنه الذِى حَمـل دُونَ سـوَاه لقبَ ، الحِب، حـبُّ رسول الله ﷺ. أمَّا مظْهرة وشكْلُه، فكانَ كما وصفَه الرواةُ والمؤرخُون. قصِير وأسْمر وشديدُ السمْرة وفِى أنفِه فُطْسٌ[1]، وقد أنجب البطل الإسلامى الشجاع أسامة بن زيدَ بنَ حَارِثة.

هذَا هُو زيد - فى عُجالَة، ومَاذَا عنْ جعْفر بنِ أبى طَالب؟!، إنه الحلِيم، المتواضِع، الوَفى، الشجَاع الذِى لا يعرفُ الخوفَ، الجوادُ الذِى لايعرفُ الفقْر.. إنه الطاهِر العفِيف، الصادِق المعروفُ بأمانتِه وإخلاَصِه، ثم أنه (وهو الأهم) أشْبَهَ الناسِ بالرسولِ ﷺ خِلْقةً، وخُلُقا، وهُو الذِى كنَّاهُ الرسولُ ﷺ «بأبِى المسَاكين». وهُو أيضًا مَنْ لقبَهُ الرسولُ ﷺ «بذِى الجنَاحيْنِ» إنه بحقٍّ «طائر الجنَّة» الغرِيد، جعفَر بنَ أبِى طالب، عظيمٌ منْ عظماءِ الرعيلِ الأوَّل، الذِين أسْهمُوا إسْهَامًا فِى صَوْغِ ضميرِ الحيَاة.

---

(١) الفُطْسُ: انخفاض فى قصبة الأنف.

وكان عبدُ اللهِ بن رواحَة ثالثَ الأمرَاءِ.

وجاءت غزوةُ «موْتة»، ووقفَ ابنُ رَواحَةَ رضى الله عنه، والجيشُ يتأهَّبُ لمغادرةِ المدينة، فلما ودَّعَ ابنُ رواحَة معَ مَن ودّع بكَى فقالُوا:

ما يُبْكيك يا ابنَ رواحَة؟

فقَال: أما واللهِ ما بى حبُّ الدنيا وَلاَ صبَابة بكُم.

فقالوا: ومَا الذِى يبكيك إذَنْ؟

فقال: مَا يُبكينى أنِّى سمعتُ رسولَ الله ﷺ يقرأ آيةً من كتابِ الله يذكرُ فيها النَّار:

﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا كَانَ عَلَىٰ رَبِّكَ حَتْمًا مَّقْضِيًّا﴾ (١):

فلستُ أدْرى كيفَ لى بالصَّدرِ بعدَ الوُرُود؟

هزَّ المعنى الرهيبُ قلوبَ الأنصَار، وقالُوا:

- صحبكُم الله، وردَّكُم إلَيْنَا صَالحين.

فقال ابنُ رَواحة:

لكنَّنِى أسألُ الرحمنَ مغفرةً
وضربةً ذاتَ قرعٍ تقذفُ الزبدَا
أو طعْنةً بيدَىْ حرَّان مُجْهزَةً
بحربةٍ تنفذُ الأحشَاءَ والكبدَا
حتَّى يقُولُوا إذَا مرُّوا على جَدَثِى
يا أرشَده اللهُ مِنْ غازٍ وقدْ رشَدَا

(١) سورة مريم - (الآية ٧١).

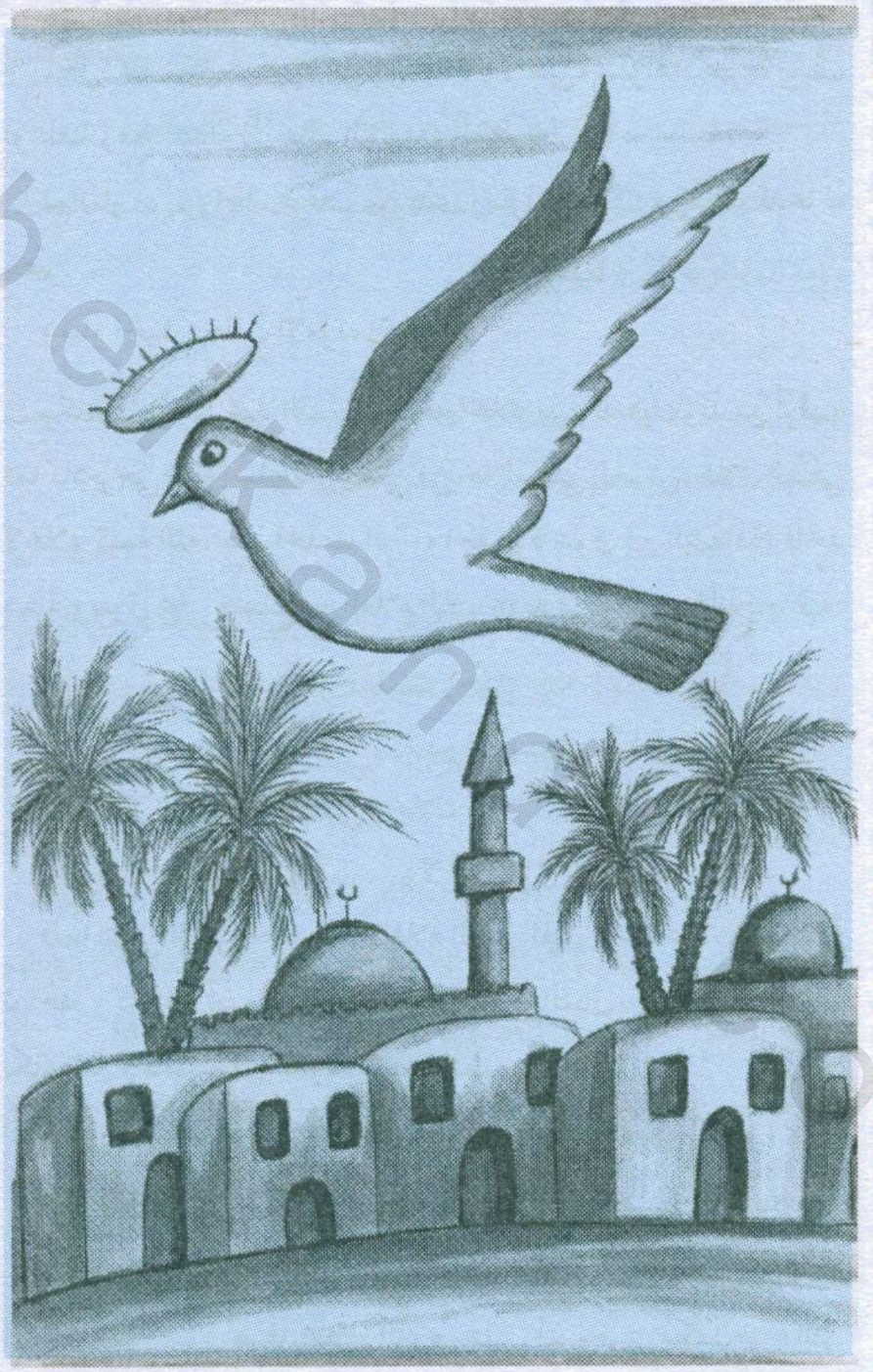

أجَل، تلك كَانت أمنيةُ ابنُ رَواحَة ، ولاَ شيءَ سوَاها، ضربةُ سيفٍ أو طعنةُ رمْح، تنقلُه إلى عَالِم الشهدَاءِ الظَّافِرين.

ثم سَار ابنُ رواحَة، فوقفَ بيْنَ يدَى رسول الله ﷺ وودَّعه، فدعَا لَهُ بخيْر.

وسارَ الجيشُ خلفَ الأمراءِ الثلاثة.

وكانَ فِى رحْل عبد الله بن رَواحة، غلامٌ يتيمٌ لَه هو «زيدُ بنُ أرْقَم» فما كادَ يُرْخى الليلُ سُدُولَه، ويطْغى منْ خلاَله عَلى الجيش، جلالَ السَّعْى لإعلاَءِ كلمةِ الله، حَتَّى أخذَت ابنَ رواحَةَ هزةٌ شوْقٍ إلى الشهَادَة، فأخذَ ينشدُ ويقولُ على مسْمَعٍ من الغلامِ اليتيم «زيدُ بنُ أرقم» وكأنهُ يخاطبُه:

إذا أدْنَيْتنِى وحَمَلْـت رَحْلى
مسيرةَ أربــع بعـدَ الحسَــاء
فشأنُك فانعمِى وخلاك ذمٌّ
ولا أرجع إلى أَهْلِـى وَرَائِى

فلما انتهى ابنُ رَواحة، بكَى الغلامُ اليتيمُ الذِى يرعَاه عبدُ الله واشتدَّ نواحُه، وكأَنَّه قد تصوَّر فراقَ سيِّده فى ساحَةِ القِتال، وسمعَ ابنُ رَواحة بكاءَ الغلام فأسرعَ إلى الدُّرَّةِ (العصا) فضَربَه بهَا وقَال:

– مَا عليْك أنْ يرزقَنِى الله الشَّهَادة وترجعَ بيْن شعْبتى الرحْل؟!

■ إلى موْته:

ومضىَ الجيشُ إلى موْته، ونزلَ بالقرْب من أرْضِ الشَّام، وهناكَ جاءَته الأخبارُ عَنْ وصولِ هِرَقْل عَظِيم الرُّوم، عَلى رأسِ جيشٍ مُكون من مائتى

ألف مُقاتل منَ الروم، لملاقاةِ المسْلمين، وَجَثمَت الأهوالُ بأثقالها عَلى المسْلمين، وأخذُوا يفكّرُون فى الأمرِ مَليّا، حَتىّ قالَ أحدُهم:

- نكتبُ إلى رسولِ الله ﷺ نخبرُه بعددِ عدوّنا، فإمَّا أنْ يمدَّنا بالرجالِ وإمَّا أنْ يأمرَنا بأمْرِه فنمْضِى له.

وَقال آخر:

- كيفَ نحاربُ كلَّ هذَا العددَ الضخْم؟ كيف؟! لابدَّ أنْ نبعثَ لرسُول الله ﷺ ونخبرَهُ عَنْ قوةِ جيشِ عدوّنا هَذَا.

وقال ثالث:

- لمْ أكنْ أتصورُ أنَّ هناكَ جيشٌ مكونٌ مِنْ مائتى ألفِ مُقَاتل مِنَ الرُّوم، لابدَّ أنْ نكتبَ لرسولِ الله ﷺ ونبلغَه ذلكَ لعلَّه يأمرنا بالعودة.

ومنْ خلالِ كُلِّ ذلك، قامَ ابنُ رواحَة فى الجيشِ خطيبًا، بعدَ أنْ أذِن لهُ الأميرُ زيدٌ بالكلامِ فقَال:

- يَا قوْمُ، واللهِ إنَّ التى تكرَهُون، للتى خرجْتم تطلُبون - الشهادَة - ومَا نقاتلُ الناسَ بعدَدٍ ولاَ كثرة، إنما نقاتلُهم بهذَا الدينِ الذِى أكرمَنَا الله به.. فانطلِقُوا فإنما إحْدَى الحسْنييْن، إمَّا النصْر ، وإمَّا الشهادَة.

■ ونزلَت الكلماتُ القويةُ على قلُوبِ الجنْد، فأحَالتها جبالاً رَاسِياتٍ حتَّى قالَ الناسُ مُتَتابعين:

- صدَق واللهِ ابنُ رواحَة.

- صدَق واللهِ ابنُ رواحَة.

ومضَى الجيشُ إلى وجْهته حتَّى نزلَ بموْتَة ووقفَ فى قلَّتِهِ الضئيلَةِ وجْها لوجْهٍ أمامَ الكثرةِ الهائلةِ والعدةِ الغاشِمَة.

وشَمَّرَت حربُ الفناءِ عنْ سَاقيْها، وَمَضى الجيشُ إلى غَايته، مضَى يلاَقى بِعُدَدِهِ القليلةِ مائتىْ ألف جُنْدِى حشدَهُم الرومُ للقتالِ الضارِى الرَّهيب.

■ والتقى الجيشَان:

وسقطَ الأميرُ الأولُ «زيدُ بنُ حارِثة» شهيدًا مجيدًا. وتلاهُ الأميرُ الثانى «جعفرُ بنُ أبى طالب» الذى أدركَ الشهادةَ فى غبْطةٍ وعظمَة، وقدْ مزَّقتهُ السُّيوفُ إرْبًا إرْبًا.

وجاءَ دورُ الأميرِ الثالثِ عبدِ الله بنِ رَواحة لقدْ تردَّد برْهَة، والناسُ يدعونَه إلى مكَانِ القيَادةِ فِيهم، ثُمَّ تقدَّم، تقدمَ وهُو يخاطبُ نفسَه عَلى مَلأٍ مِنَ المسْلمين والكُفار ويقولُ صائحًا:

يـا نفـسُ إلا تُقْتلـى تمُوتـى

هذَا حمامُ المـوتِ قدْ لقيتِ

ومَـا تمنيـتِ فقـــد أعْطيت

إنْ تفعَلِى فعلهمَـا هُديت

ثمَّ يرتعِدُ رعْدةً مَهيبَةً قَال بعدهَا:

– يا نفسُ!! إلى أىِّ شىءٍ تتُوقين!؟؟ إلى امْرَأتى، فهِىَ طَالق.. إلى غِلمَانى!؟ فهُم أحْرَار، إلى مَالى، فهوَ لِلَّهِ ورسُوله ﷺ..

وحَمل الأميرُ الثالثُ الرايَة، ونفذَ إلى صفُوفِ الأعْدَاءِ، فرَأَى الموتَ يحصُدُ المسْلمين حَصْدا، فهاجَت نفسُه - فعَادَ قليلاً ثمَّ قَال:

يا نفس مَالِك تكْرَهين الجنَّة

أقسِـــمُ باللَّهِ لتنزِلنَّـــه

طـائعـــةً أوْ لتكرَهنـــه

فطَالمـــا كنتِ مُطْمئنَّـــة

ثم رمَى بنفسْه فى وسط الأعدَاء، فاستقْبلَته السيوفُ تطعنُه حَتَّى أصيبَ بضرْبةٍ قَاتلَة، فسقطَ شهيدًا بينَ الصَّفيْن.

هُنا، وَفِى هذهِ اللَّحظة، وقفَ رسولُ الله ﷺ بينَ أصحابِه بمسْجده بالمدينة يعلنُ النبأَ ساعةَ وقُوعه فِى ساحةِ المعرَكَة وقالَ ﷺ:

أخذَ زيدُ بنُ حَارِثة الرايَة، فقاتلَ بها حتى قُتل شهيدًا، ثمَّ أخذهَا جعفرُ ابنُ أبى طالب فقاتلَ بها حتى قتلَ شهيدا.

ثم صمتَ الرسولُ ﷺ، حتَّى تغيَّرَت وجوهُ الأنصَار، وظنُّوا أنَّهُ قدْ كَان من ابنِ رَواحة بعض ما يكرهُونه، ولكنْ لَمْ يطلْ تسَاؤُلُهُم كَثيرا، حتَّى انطلق لسانُ الرسولِ ﷺ بعدَ هُنيهَةٍ يقولُ:

ثُمَّ أخذهَا عبدُ الله بنُ رواحةَ فقاتلَ بها حتَّى قُتل شهيدًا.

ثمَّ صمتَ قليلاً، وتألقتْ عينَاهُ بومْضٍ مُتهللٍ، مُطمئنٍ، مُشتَاقٍ، ثمَّ قال ﷺ:

- لقدْ رُفعُوا إلىَّ فى الجنَّة.

وصلَّى المسْلمون صلاةَ المغرب والعشاءِ الآخرةِ خلفَ رسول الله ﷺ، ومَا يقدرُ أحدٌ عَلى النظرِ فِى وجْهه ﷺ، لفرْطِ مَا يملؤُه منَ الحزنِ العَميق، حتى إذا مَا كانت صلاةُ الغدَاة منَ اليومِ التالِى، انقلبَ غمهُ إلى إشْرَاق وتفاؤُلٍ، ومنْ ثمَّ اسْتدارَ ﷺ إلى الجموعِ مِنْ خلْفه وهو يَبْتسِم، فقالَ لهُ بعضُهم:

– يا نبىَّ الله، بأنفسِنا أنتَ. لا يعلَم إلاَّ اللهُ ما كانَ بنَا مِنَ الوجْد، فقدْ رأيْنَا منْك الذِى رأيْنا!!

فأجابهم ﷺ:

«كانَ الذِى رَأيتم مِنِّى أنْ أحزنَنِى قتْل أصحَابِى، حتَّى رأيتهم فِى الجنةِ، عَلى سُرُرٍ مُتَقابلين»..

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾

(١) سورة الأنفال (الآية – ٧٤).

obeikandl.com

المراجع

- القرآن الكريم.
- السنة النبوية.
- السيرة النبوية – للحافظ بن كثير.
- الأساس فى السنة – لسعيد جوبى.
- الكواكب الذرية – لزيد الدين محمد عبد الرؤوف المناوى.
- البداية والنهاية – للحافظ بن كثير.
- الترغيب والترهيب – للشيخ الإمام الحافظ.
- حياة الصحابة – لمحمد يوسف الكاندهلوى.
- حلية الأولياء وطبقات الأصفياء – لأبى نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهانى.
- أخلاق العلماء – للشيخ محمد سليمان.
- البيان والتبيين – لأبى عثمان عمرو بن بحر الجاحظ.
- إحياء علوم الدين – للإمام أبى حامد الغزالى.
- الطبقات الكبرى – لابن سعد.
- صحيح البخارى – للإمام البخارى.
- الإصابة فى أخبار الصحابة – لأبى حجر العسقلانى.
- الاستيعاب – لابن عبد البر.
- رجال حول الرسول – لخالد محمد خالد.
- صور من سير الصحابة – – لعبد الحميد بن عبد الرحمن .

- إن الله اشترى – للدكتور أحمد الشرباصى.
- رجال صدقوا – للدكتور أحمد الشرباصى.
- بين الوفاء والغداء – للدكتور أحمد الشرباصى.
- أعلام الصحابة المجاهدون – لمحمد خالد.
- من تلاميذ النبى ﷺ – لصلاح عزام.
- مائة من الصحابة وقائدهم محمد ﷺ – لسعد القاضى.
- كلمات ومواقف لصحابة رسول الله ﷺ – لسعد القاضى.
- القدوة.. عمر بن الخطاب – لسعد القاضى.
- عظمة النبى محمد ﷺ – لمحمد عطية الإبراشى.
- قصة إسلام الصحابة – للدكتور حسن حبشى.
- شهداء الصحابة فى صدر الإسلام – لمحمد فهمى عبد الوهاب.
- سلسلة رجال صدقوا – لسعد القاضى.

beikandi.com

رقم الإيداع	٢٠٠٣/١٥٢١٢
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-6498-9

٧/٢٠٠٢/١٣

طبع بمطابع دار المعارف (ج . م . ع .)

obeikandl.com

الصحابة

يسعد دار المعارف أن تقدم للشباب والناشئة ، هذه المجموعة الشائقة عن صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم .. الذين قال عنهم : « أصحابى كالنجوم .. بأيهم اقتديتم .. اهتديتم » .

مجموعة تحث الشباب والناشئة على القيم الفاضلة والأخلاق النبيلة والقدوة الحسنة .

صدر منها :

١ - أبو عبيدة بن الجراح .
٢ - أبو حذيفة بن عتبة .
٣ - الزبير بن العوام .
٤ - زيد بن حارثة .
٥ - عبد الله بن رواحة .

دار المعارف

٢٣٥٠٤٢/٠١

obeikandl.com